بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 5 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\\ م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

الآية الثانية قوله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيمِ﴾[1]

المحطة الأولى: أنه مما يلفت النظر أن الآيات الواقعة بعد الحروف المقطعة في بعض السور جاءت مع الحروف المقطعة آية واحدة، وبل في بعض السور جاءت الحروف المقطعة آية مستقلة، فما هو السر في ذلك؟

الفخر الرازي في تفسير سورة يونس، تناول هذه الشبهة وهذا السؤال، أنه في سورة يونس الآية تقول: ﴿الر تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيمِ﴾[2] آية واحدة، ذكر الفخر الرازي جواباً كلياً عن هذا السؤال، لنرى هل ينفعنا أم لا؟ ما هو هذا الجواب الكلي؟ هو قارن بين سورة يونس وسورة طه، أن ﴿طه﴾ من الحروف المقطعة، في سورة طه،﴿ طه﴾ جاءت آية مستقلة، في سورة يونس ﴿المر﴾ جاءت جزء آية غير مستقلة، فيقول السر في ذلك أن الحروف المقطعة في ﴿طه﴾ يتناسب ختمها مع ختم الآيات التي بعدها، ﴿طه﴾ ﴿تشقى﴾ هذا السجع موجود، وجاءت الحروف المقطعة متناسبة معه، أما في سورة يونس ﴿الر﴾ لا تتناسب الراء مع فواصل الآيات التي تأتي بعدها، فبما أنها لا تتناسب فجاءت هكذا، جاءت جزء آية، خلاصة المطلب أن جواب الفخر الرازي يقول: في سورة طه هذه الحروف المقطعة تتناسب مع فواصل الآيات ﴿ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى﴾[3] ﴿طه﴾ ﴿تشقى﴾ وزن واحد، وسجع واحد، بخلاف سورة يونس ﴿الر﴾ لا تتناسب[4].

---

[1] لقمان 2

[2] يونس 1

[3] طه 2

[4] مفاتيح الغيب، ج17، ص: 183. المسألة الثانية: اتفقوا على أن قوله الر وحده ليس آية، واتفقوا على أن قوله طه [طه: 1] وحده آية. والفرق أن قوله: الر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده بخلاف قوله: طه فإنه يشاكل مقاطع الآي التي بعده.

هذا الجواب ينقض عليه بسورة لقمان، سورة لقمان مطابقة لسورة يونس، وجاءت ﴿الر﴾ آية مستقلة ومنفصلة، مع أنها لا تتناسب مع فواصل الآيات، وهكذا إذا استقرأنا الموارد التسع والعشرين اللي وردت فيها الحروف المقطعة، نجد الإشكال على الفخر الرازي يصبح واضحاً، مثلاً: في سورة البقرة عندنا ﴿الم﴾ وكذلك في آل عمران وفي العنكبوت وفي الروم والسجدة، كلها ﴿الم﴾ وجاءت مستقلة، فيما نحن أيضاً ﴿المر﴾ جاءت مستقلة، في سورة يونس ﴿الر﴾ وهود ويوسف وإبراهيم والحجر جاءت جزء آية، في الرعد ﴿المر﴾ جاءت جزء آية، في مريم ﴿كهيعص﴾ جاءت آية مستقلة، في طه وفي يس جاءت آية مستقلة، في الشعراء ﴿طسم﴾ وفي القصص جاءت آية مستقلة، في النمل ﴿طس﴾ جاءت جزء آية، في صاد جاءت جزء آية، في غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف جاءت ﴿حم﴾ آية مستقلة، في الشورى جاءت الحروف المقطعة عبارة عن آيتين ﴿حم﴾ آية، ﴿عسق﴾ آية أخرى، مع أنه وصلتا ببعضهما البعض كآية واحدة. فما ذكره إذن الفخر الرازي لا يحل لنا هذه المشكلة.

الزمخشري في الكشاف يطرح هذا سؤال، فيقول: ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض؟ فيجيب عن ذلك بقوله، قلت: هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه.

هذا أفضل جواب، هذا علم توقيفي، لكن يقول ما معنى علم توقيفي؟ يعني تعيين أيها يكون جزء آية وأيها يكون آية ليس باختيارنا، حتى يقال ترجيح بلا مرجح، وإنما هو مبني على التوقيف من قبل الشارع المقدس.

لكن هذا الكلام إنما يكون صحيحاً فيما لو تم الاتفاق على هذا الترتيب المذكور في القرآن، في كون بعض الفواتح جزء آية، وبعض الفواتح آية كاملة، هناك اختلاف شديد بين الكوفيين والبصريين، البعض منهم ينكر كونها آية مستقلة بتمامها، والبعض يصر على أن الجميع آية مستقلة، والبعض يسلك سبيلاً وسطاً، ولا يوجد لدينا دليل معتبر على أن التعيين بهذا الشكل المرسوم في المصحف هو من النبي الأعظم ﷺ، لا يوجد عندنا دليل معتبر. نعم، يوجد عندنا دليل معتبر على أنها من القرآن الكريم، لكن هل هي آية كاملة أم جزء آية؟ ما عندنا أي دليل معتبر؛ ولأجل ذلك وقعت الاختلافات، وما قد يقال أكثره استحسانات لا قيمة لها.

فهذا في الواقع لم نحرز توقيف الشارع حتى نسلم ونتعبد، فإن التوقيف الذي يستتبع التعبد والتسليم إذا ثبت التوقيف، لكن هذا التوقيف لم يثبت لنا.

المحطة الثانية: في تعيين المشار إليه باسم الإشارة، وهذه المحطة سيالة في كثير من مطالع السور ﴿الم (1) ذلِكَ الْكتاب﴾[5] في سورة البقرة يقع الكلام ما هو المشار إليه بذلك؟ هنا ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيم﴾ ذكروا في المقام رأيين:

الرأي الأول: أن المشار إليه هو الحروف المقطعة ﴿الم (1) ذلِكَ الْكتاب﴾ يعني ذلك الكتاب إشارة إلى ﴿الم﴾ فيما نحن فيه ﴿الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيم﴾ المشار إليه هي ﴿الم﴾ وأرباب هذا القول جعلوا ذلك دليلاً على إثبات ذلك المبنى في الحروف المقطعة، وهي أن الحروف المقطعة لا معنى لها، وإنما هي مواد الآيات القرآنية التي ذكرت في مقام التحدي، هذا المروي عن التفسير المنسوب للإمام العسكري، فمثل السيد قطب في ظلال القرآن جعل اسم الإشارة دليلاً على اختياره لهذا القول في الحروف المقطعة[6].

الرأي الثاني: أنه ﴿الم (1) تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيم﴾ إشارة إلى الآيات التي قبل سورة لقمان. ففي سورة البقرة مثلاً ﴿ذلك الكتاب﴾ الكتاب هي الآيات التي في سورة الفاتحة، فالمشار إليه هو ما تقدم من آيات على هذه السورة.

وفي كلا القولين يمكن المناقشة:

أما القول الأول: فهو مبني على ما اعتقدوه من إعراب، وهو أن ﴿الم﴾ مبتدأ خبره ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكيم﴾ فـ﴿تلك﴾ تكون خبر، والمبتدأ هو الحروف المقطعة، وكذلك ﴿ذلك الكتاب﴾، لكن هذا الإعراب على خلاف ما عليه المحققين من المعربين للقرآن الكريم، حيث يعربون هذه الآية، ﴿تلك﴾ مبتدأ ﴿آيات الكتاب الحكيم﴾ الخبر؛ لا أنها خبر والمبتدأ هو ﴿الم﴾ هذا أولاً.

---

[5] البقرة 1، 2

[6] في ظلال القرآن، ج5، ص: 2783. (الافتتاح بالأحرف المقطعة. «ألف. لام. ميم» و الإخبار عنها بأنها: «تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْحَكِيمِ» للتنبيه إلى أن آيات الكتاب من جنس تلك الأحرف- على نحو ما تقدم في السور المبدوءة بالأحرف-).

ثانياً: أنه لو سلمنا أن اسم الإشارة يرجع إلى الحروف المقطعة، فلا يتعين القول الذي انتخبه السيد قطب، وهو أن يكون المقصود من الحروف المقطعة، يعني مادة القرآن، فالتحدي الكبير أن نقدم لكم المادة، وتعالوا ألفوا مثل هذا القرآن؛ لاحتمال أن يكون هذه الحروف المقطعة رمز لهذه السورة كاسم، يحتمل هذا ثبوتاً، ولا دليل ينفيه، هذا ما يؤاخذ به القول الأول.

أما القول الثاني: أن السؤال لماذا القرآن عندما ابتلي على المسلمين؟ -يعني ابتلي بتمامه حتى نرجع اسم الإشارة إلى تقدم عليه- هذا الترتيب، الآيات القرآنية نزلت نجوماً، ولو قلنا بأن هذا الترتيب القرآني هو بأمر من الرسول ﷺ إنما كان هذا بعد نزول الآيات، فكان حينئذ لو كان المرجع هو شيء سابق، لأنه نحن نعرف أن هذا ترتيب المذكور في القرآن الكريم ليس على حسب زمان النزول، قد تكون السورة متأخرة في الترتيب لكنها متقدمة في النزول، ليست أول سورة في القرآن الكريم هي سورة الفاتحة، ولا ثاني سورة في القرآن، سورة البقرة سورة مدنية، وهناك صور كثيرة نزلت في مكة، بل وفي المدينة. فإذن كان مدعاة إلى أن يتساءل المسلمون والسامعون أن هذا اسم الإشارة إلى أي سورة من السور يرجع؛ لأن هذا الترتيب وهذا التدوين لو سلم أنه بأمر من النبي ﷺ كان متأخراً على نزول الآيات والسور، فلا نسلم هذا الوجه.

والصحيح باعتقادي، هو أن المشار إليه باسم الإشارة، هو الشيء الحاضر ذهناً عند جميع من يسمع تلاوة النبي الأعظم ﷺ وأنه بصدد تلاوة القرآن عليهم، فالمشار إليه هو هذا الحاضر ذهناً، وهو هذا القرآن الكريم، بعضاً أو كلاً، لا يؤثر؛ لأن القرآن الكريم قد يطلق ويراد منه بعض الآيات، مثلاً يكره قراءة القرآن أكثر من سبع آيات أو يكره قراءة القرآن، يعني ليس المكروه قراءة كل القرآن، عندما نقول يكره قراءة القرآن يعني ولو بعض الآيات من القرآن الكريم، فإذن المشار إليه هو هذا الحاضر ذهناً، نظير استعمال الألف واللام في الحضور الذهني.